هوامش

من منظار فردي، قد يعكس ظهور رجال مخضرمين بشعر مصبوغ بالأسود، رغبتهم في التحلي بإطلالة لافتة وراقية. أما في حال قادة الصين، فالأهم هو إظهار الهيبة والقدرة على الحكم

قادة الصين وهيبة الشعر الأسود (غريغ بايكر/ فرانس برس)

قادة الصين

شعر أسود في التسعين

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

في نهاية يونيو/ حزيران الماضي، اجتمع قادة الصين في قاعة الشعب الكبرى في العاصمة بكين، من أجل تكريم جهود بذلها أعضاء بارزون في الحزب الشيوعي في مجالات مختلفة. وتقدم الحاضرين الرئيس شي جين بينغ، ورافقه أعضاء اللجنة الدائمة في الحزب التي تعد أعلى سلطة في الدولة. بعيداً عن المناسبة التي تزامنت مع احتفالات الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، وترافقت مع خطابات وعروض ونشاطات متنوعة على مدار ثلاثة أيام، كان لافتاً ظهور ممثلي النخبة السياسية بحلة متشابهة ليس فقط في الملامح والملابس، بل أيضاً في لون الشعر الأسود الداكن، رغم تجاوزهم جميعهم سن الـ60. وباعتبار أن الحزب الشيوعي الصيني أحد أكثر الكيانات السياسية انضباطاً، لا يمكن أن يكون ذلك مجرد صدفة بحتة، إذ يعتبر مراقبون أن إطلالة الشعر الأسود لأعضاء الحزب التزام سياسي بالدرجة الأولى يهدف إلى إظهار قوته وحيويته، علماً أن الشعر في الثقافة الصينية يرمز إلى السلطة باعتباره يوجد في أعلى الرأس. واللون الأبيض يشير إلى الكهولة، والأسود إلى الهيبة والتماسك والصلابة. واللافت أن الحزب الشيوعي الصيني يطبق تقليد حرمان أعضاء سابقين أدينوا بقضايا فساد وجرّدوا من رتبهم ومناصبهم من صبغة الشعر، وظهورهم بالتالي أمام عامة الشعب بشعر أشيب، والذي يمثل أيضاً عقوبة تعادل المشي عارياً. في المقابل، يرى مراقبون آخرون أن حرص قادة الحزب على صبغ شعرهم باللون الأسود ليس ظاهرة عامة، باعتبار أن معظم الرجال في المجتمع الصيني يهتمون بمكافحة الصلع أكثر من الشيب، وأن عادة صبغ الشعر تقتصر على النساء، لذا يستنكر هؤلاء تصرف القادة، ويسألون عن أسبابه.

رسائل سياسية

تقول الخبيرة في مجال البروتوكول، تسان لي يوان، لـ «العربي الجديد»، إن «قادة الحزب الشيوعي يطبقون تقليداً قديماً بدأ خلال عهد الزعيم الراحل ماو تسي تونغ الذي كان يحرص دائماً على ارتداء بدلة رمادية اللون اعتبرها البعض حينها رمزاً ماركسياً لمناهضة الإمبريالية». وتتابع: «هناك حاجة اليوم لاستخدام رموز في توجيه رسائل داخلية. والتدقيق في مظهر القادة يوصل هذه الرسائل، ولون الشعر الأسود الواحد أحد هذه المظاهر، على غرار الوزن المتقارب وشكل البدلات الرسمية ولونها وربطة العنق الموضوعة». وتوضح أن مسألة الاهتمام بلون الشعر الأسود لدى القادة ظهرت في شكل واضح خلال ولاية الرئيس الحالي شي، ما جعله أشبه بالتزام سياسي يفسر أيضاً إطلالة الرئيس السابق جيانغ زيمين، في مناسبة حزبية، بشعر أسود بالكامل رغم أنه تجاوز سن التسعين. وفي شأن تفسيرات هذه الظاهرة، ترى تسان أن «الأمر قد يرتبط برغبة القادة في الظهور بمظهر الشباب القادر على الإدارة والضبط والمتابعة، والتي يرتكز عليها عمل حزب يقود 1,4 مليار نسمة. كما قد يعكس ذلك مبادئ الانضباط والتوافق والتكافؤ المهمة في القيم الاشتراكية التي يتبناها الحزب ويدعو الشباب إلى الاقتداء بها. أما السبب الأكثر منطقية فهو محاولة إظهار الحزب كمؤسسة جماعية موحدة تخلو من أي تمييز، ولا تعمل لتكريس وتركيز السلطة في يد رجل واحد».

من جهته، يقول الطالب في جامعة بكين للدراسات الأجنبية، تشو وانغ، لـ «العربي الجديد»: «أفهم حرص النخبة السياسية على الظهور بشعر أسود، من أجل منح الشعب مزيداً من الثقة بالقيادة، علماً أنني لا أتخيل رؤية الرئيس الصيني بشعر أبيض يشبه رجلاً عاجزاً وغير قادر على إدارة الدولة». ويستبعد تشو «علاقة مظهر الشعر بترف السياسيين ومزاجهم العام، بل يهدف إلى نقل صورة الدولة القوية وهيبة القيادة». ويتطرق إلى فكرة متطرفة يرددها البعض تفيد بأن «القادة استثنائيون، ولا يجب أن يظهروا كأنهم يواجهون مشكلات مثل أي شخص عادي، ما يحتم تمييز مظهرهم، وتجنبهم القواسم المشتركة بين البشر، وأحدها الشيب».

زوال النعمة

ومثلما يدل لون الشعر الأسود على الهيبة، يتحول الحرمان من صبغة اللون نوعاً من عقوبة تطبق داخل الحزب. وفي عام 2013، تفاجأ الصينيون بظهور عضو اللجنة الدائمة في الحزب وزير الأمن العام السابق يو يونغ كانغ الذي أدين بقضايا فساد وحكم عليه بالسجن المؤبد بشعر أبيض خلال محاكمته، ما خالف الصورة التي اعتادوا أن يروه فيها. وتكرر ذلك مع مسؤولين آخرين أدينوا بقضايا فساد في إطار حملة شنها الرئيس الصيني شي عام 2013 من أجل تطهير الحزب. وكان أبرزهم عضو المكتب السياسي بو شيلاي الذي ظهر أيضاً أثناء المحاكمة بشعر أبيض. ويقول مراقبون إن «هذا الإجراء مقصود بهدف نزع الهيبة والسلطة ممن ثبت تورطهم بقضايا اختلاس ورشوة، ما يعني أن الشعر الأبيض بات يدل على تراجع المكانة وزوال النعمة، وخروج المسؤولين الصينيين من مظلة الحزب، وهو ما ينطبق على المتقاعدين أيضاً».

باختصار

هناك حاجة اليوم لاستخدام رموز في توجيه رسائل داخلية. والتدقيق في مظهر القادة الصينيين يوصل هذه الرسائل

■■■

القادة استثنائيون، ولا يجب أن يظهروا كأنهم يواجهون مشكلات مثل أي شخص عادي، ما يحتم تمييز مظهرهم

■■■

الشعر الأبيض بات يدل على تراجع المكانة وزوال النعمة، وخروج المسؤولين الصينيين من مظلة الحزب

وأخيراً

تطبيع رياضي كامل الدسم

سعدية مفرح

شخصٌ ما اقتحم بيت أخيك وطرده منه، بعدما ادّعى أنّه بيته هو، وقتل بعض أبناء البيت وشرّد البقية، وأصبح يتصرّف عقوداً طويلة بصفته صاحب البيت المغتصَب أساساً، واعتاد أن يدعو أقرباءه من مختلف أنحاء العالم للسكنى في بعض غرف هذا البيت، لكنّه يمنع سكانه الأصليين حتى من حق زيارته.

وأخيراً، أتى أبناء المحتل إلى البيت، المشاركون بما فعله والدهم الآن، ليلعبوا مع أبنائك في الساحة المقابلة، والمطلوب منك أن توافق بحجّة أنّ هذه رياضة، وأن لا دخل للعب والرياضة بأيّ شيء آخر، وأنّ أبناءه وأبناءك يفعلون ذلك باسم السلام وحده... هذا هو التطبيع الرياضي... فتخيّل. وهو ما حدث ويحدث بالضبط في فلسطين حرفياً.

الصهاينة المحتلون للأراضي الفلسطينية، المعنون في الاحتلال، والتنكيل بأهلنا في فلسطين، المستمرّون في الاحتلال واغتصاب الأراضي وسرقة البيوت، الرافضون كلّ خطة سلام تتضمّن الاعتراف حتى ببعض الحقوق الفلسطينية في الأرض، كالمبادرة العربية، يشاركون في البطولات العالمية التي تجمعهم مع بعض الفرق العربية، والمطلوب من العرب دولياً الموافقة على اللعب معهم، وإلّا خسر هؤلاء العرب تلك المقابلات الرياضية، وتحمّلوا العقوبات من الجهات المنظمة أيضاً! ظلم إضافي اعتاد اللاعبون العرب على تحمّله في سبيل إيمانهم المطلق بالقضية الفلسطينية، فمجرد اللعب مع اللاعبين الصهاينة يعتبر اعترافاً بهم وبكيانهم وباحتلالهم فلسطين، وهو ما يرفضه الوجدان العربي دائماً.

وملف التطبيع الرياضي قديمٌ يتجدد الحديث عنه مع كلّ بطولة رياضية عالمية تجمع ما بين اللاعبين العرب ولاعبي الكيان الصهيوني، في بعض المقابلات بسبب القرعة، كدورة الألعاب الأولمبية التي تُقام هذه الأيام في طوكيو. وعلى الرغم من أنّ معظم اللاعبين العرب اعتادوا على الانسحاب المشرف تلقائياً من مثل هذه المقابلات، فالجديد الذي ترافق مع موجة التطبيع الأخيرة أنّ لاعبين عرباً أصبحوا يفكرون جدّياً في خوض مبارياتهم مع اللاعبين الصهاينة، وهو الأمر الذي يضع علامات استفهام جديدة على هذا الملف كلّه، ذلك أنّ خوض المنافسات الرياضية أمام لاعبي الكيان الصهيوني وفرقه ما زال يعتبر اعترافاً مذلاً بالعدو وممارساته وهو تطبيع كامل الدسم مع سياساته.

ومن يقول إنّ على اللاعبين العرب مقابلة الصهاينة في المنافسات الرياضية لا يخرج عن أربعة: الأول مؤمن بالتطبيع وينادي به فعلاً ولا يخجل من ذلك. الثاني مؤمن بالتطبيع لكن يشعر بالخجل أو بالخوف من غضب الجماهير العربية حوله. الثالث ساذج يرى أنّ الصراع لا يخرج عن فكرة من يضرب من، فتجد مثل هذا يشجّع اللاعبين العرب على مقابلة أندادهم الصهاينة لضربهم والإمعان في التنكيل بهم في الملعب، ومن المضحك أنّ هناك من ينصح اللاعبين العرب بمواجهة الصهاينة بحجّة الأخذ بالثأر منهم وضربهم! وهذا أمر مناقض لفكرة الألعاب الأولمبية تحديداً، علاوة على أنّ هؤلاء ليسوا متأكدين أساساً من الفوز عليهم. أما النموذج الرابع فهو غبيٌّ لا يعرف الفرق بين الحرب والمنافسة الرياضية، فيظن أنّ المنافسة الرياضية هي نوع من الحرب، وعلى العرب عدم الانسحاب منها، لأنّ ذلك يعتبر انهزاماً مبكراً.

> هل يحق للاعبين العرب اتخاذ مواقف حرّة ومستقلة بعيداً عن سياسات حكوماتهم المتعلقة بالتطبيع؟

السؤال الذي يطلّ برأسه من بين كلّ هذه الاحتمالات: هل يحق لكلّ اللاعبين العرب اتخاذ مواقف حرّة ومستقلة على هذا الصعيد، بعيداً عن سياسات حكوماتهم المتعلقة بالتطبيع فعلاً؟ الإجابة واضحة ويعرفها الجميع، أنّ معظم اللاعبين العرب لا يملكون رفاهية اتخاذ قراراتهم بشأن اللعب مع الفرق الصهيونية بحرية. وبالتالي، هذه القرارات حكومية محض، ما يجعلها ترتد على سياسات التطبيع المباشر أو غير المباشر مع الصهاينة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**